بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،

فإن العمل الإسلامي في العقدين الآخرين قد تنوعت طرقه، وتعددت أطيافه، وبرزت محاسنه، إلا أنه لا ينفك عن مكدرات، تشوشه وتعوقه، وتحاول تقليص نشاطه، وربما عرقلته أحيانا، ممن هو داخل الحقل المتدين، أو كان من العاملين، أو من المغرضين المنافقين.

مما يؤكد أن ثمة جماعات من الإسلاميين لم تنضج من الناحيتين الإيمانية والفكرية، لأنها لو نضجت إيمانا، لفرحت بجهود إخوانها ولو خالفتها، ولمزيد النجاح والاتقان تقدم نصائحها في إطار من اللطف والأدب.

وأما أنها لم تنضح فكرا، فلقلة معلوماتها، وهوان تفكيرها وضيق أفقها، وانعدام المرونة فيها، كما سنبين في مضمون الرسالة، وبسبب تمادي أشكال التعويق والتثبيط والتحطيم، ناسب أن نتحدث عنها، لاسيما وأن في القرآن نوعا من كشفهم في آيات مختلفة، ومما لفتني في كتاب الله قوله تعالى عن المنافقين وأذنابهم في غزوة الخندق، التي نجم فيها النفاق " **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا**" [الأحزاب :18].

فتأملت ساحة العمل الإسلامي، فرأيت أصنافا وأشكالاً من التعويق التي تحسن دراستها، وطرحها لكشف مسلك الفئات الغائرة في الجهل، والتي أعماها الحسد، أو شانها انبلاج الخير ونصاعته. والله المستعان.

فشرعت الآن في هذه الرسالة التي عنوانها **(ظاهرة التعويق في العمل الإسلامي)** للكشف، والتحذير لإخواننا العاملين من التورط في هذه المزالق، لأنها تنابذ وحدة المسلمين، وتنبئ عن تفاهة الفكر، والله تعالى محيط بهم وعليم بأسمائهم وتحركاتهم ونياتهم (قد يعلم الله المعوقين) ويخشى عليهم من التراجع والتقهقر بسبب سلوك هذا المسلك إذا تعمدوه، وأما من مارسه بعلم وفهم يرى صوابه، فهذا يحاور ويناقش، حتي يكشف له الحق ولا تثريب عليه، وليس عليه من سبيل سوى الدعاء له بالتوفيق والإصابة.

ومع ذلك فإن المسلم العامل يوصى بدوام الاطلاع، وكثرة التأمل للساحة الإسلامية، والاستفادة من تجارب الآخرين، وجلسات العلماء والمفكرين والمبدعين لتصحيح المسالك القديمة،والأفكار العتيقة حتى لا يتجاوزه الناس وهو لا يزال في مكانه رابضا، أو يفوته القطار وهو ما يزال ينتظر!!

إن المعوقين لإخوانهم المسلمين في العمل الإسلامي شأنهم أهم من أولئك العوقة من المنافقين وأذنابهم، لأن هؤلاء أعداء حقيقيون، ولا فكاك من إيذاءاتهم وتكديراتهم كما قال (**هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**). [المنافقون: 4]

أما الذين في النطاق الإسلامي، فقد أزرى بهم سوء فهم أو خمول ذكر، أو نزعة شر، أو اندفاع قاس، قادهم لتعويق إخوانهم، وتثبيطهم عن العمل والجد والبذل والمسارعة، التي تقتضي في كل مسلم وسالك إلى الله أن، يتوقاها، ويهيئ نفسه من أجلها، فكيف من ينتسب للدعوة، ويستيقن عمومية الرسالة واستفحال شرور من لا يريد ببني آدم خيرا، لأن هذا الدين ليس خاصا لطائفة، أو من أملاك أمة، بل هو لسائر الخلق، ويؤلمنا تردي أوضاع الإنسانية، وفوات السعادة عنها وفقدانها للحياة الطيبة!!

والتعويق في العمل الإسلامي، لم يعد سرا أن جماعات تمارسه بعلم أو بجهل وسوء مقصد، والمهم إننا نزيد تبيانه ليتضح عمق الضرر، والخطر الذي يضرون به إخوانهم، وأمتهم، وهم لا يشعرون!!

لا يمكن لأحد أن يتناسى دور المنافقين المعوقين في أحد والأحزاب وفي مواطن كثيرة!! وكيف كان ينعكس ذلك التعويق نفسيا وماديا على الجيش الإسلامي، والاستبسال الكبير الذي تحلى به رسولنا صلى الله عليه وسلم إبان تطويق المدينة، وتعويق المرجفين، حتى قال الله مشيدا بصبرة، ومنبها بعصاميته:

" **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**" [الأحزاب : 21].

وهي واردة في سياق الجهاد والصبر والأخطار، وليس في سياق الصلاة أو الحج والزكاة فقيها موعظة لنا، نفعنا الله بها، آمين.

ورسالة التعويق هذه نوع من المعرفة المقبسة من كتاب الله تعالى، حيث ذكر الله تعويق المنافقين وكشف صفاتهم، وأبان خطرهم على الدين والأمة فوجب البيان بهذا النوع من

المعرفة، لأنه متجدد ومتواصل في الحياة الإنسانية، ويمس بدرجة كبيرة العاملين والمؤثرين في العمل الإسلامي.

وسوف نتحدث بمشيئة الله عن التعويق من حيث الدلالة اللغوية، ثم نعرج بأسبابه وصانعيه وأصنافه وآثار ذلك على الدعوة الإسلامية، والله الموفق والهادي إلى سوء السبيل.

محايل عسير/ ليلة عيد الفطر
الاثنين 3 رمضان 1427هـ
23 أكتوبر 2006م

الدلالة اللغوية لمعنى التعويق

التعويق هو الحبس والصرف، يقال عاقه عن كذا يعوقه: إذا حبسه وصرفه، وأصل عاق عوق ثم فعل من فعل إلى فعُل، ويطلق العوق ويراد به: التثبيط كالتعويق والاعتياق، يقال: عاقه عن الوجه الذي أراده عائق، وعقاه وعوقّه، واعتاقه كله بمعنى ، وفي التنزيل "**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ**" [الأحزاب:18] وهم قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم عن بصره رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ويطلق العوق: على الرجل الذي لا خير عنده.

(تاج العروس 1/6514)

أسباب التعويق

لابد وأن الناظر في مثل هذه القضايا والمشكلات، يدرك أن لكل قضية أسبابا ومسببات، أورثت مثل هذه النازلة، ذات الأبعاد الخطيرة، والمؤثرات البليغة ومن خلال التأمل لمسألة التعويق وما ناظرها من قضايا مشابهة، فإن أسبابها تكمن فيما يلي:

1) **النفاق**: وهو الذي حمل مؤسسي مدرسة التعويق القديمة، على فعلهم، بأن يخلخلوا الأمة المسلمة، وينشروا فيها المثبطات، ويصرفوها عن وجهها الحقيقي، قال تعالى في سياق سورة الأحزاب:

" **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (12) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً (13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً (15) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (16) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً (17) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً**" [الأحزاب : 11-18].

وهذا السبب والباعث إنما يمارسه، ويتورط فيه أعداء الدين والمغرضون وأذناب الغرب ، وأفراح التغريب، وعملاء المحتلين من الراضين بالدون والدنية، والمنهزومون فكريا وقوميا، وهم من لا يعتبرون الدين قضيتهم ولا مرجعيتهم!! بل قد يتهجمون عليه إذا سنحت لهم الفرصة، وإذا تورطوا بالعيش في مجتمعات مسلمة أظهروا دينهم وتمسكهم، وربما نظروا في قضايا شرعية!!.

إذن فهذا السبب غالباً خارج نطاق المسلمين الحقيقيين ، ولكن قد يشابههم فيه من يحمل شيئا من صفاتهم، كالكذب، والخيانة، وخلف الوعد والفجور في الخصومة وهو مسلم، لكنه يحملها بسبب ضعف دينه، واعوجاج سلوكه ومقارفته شيئا من الخطايا.

2) **الجهل**: وهو السلوك القائم على انعدام العلم، فيهرف صاحبه بما لا يعرف! وينقد بلا تفهم، ويضيف بلا إدراك، وهو آفة كثير من الانتقادات والخصومات، والتعويقات، بل هو آفة الآفات، ومحط البليات، قال تعالى:" **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**" [الزمر:9].

والجاهل إما أن يكون محبا للدعوة، وليس لديه معرفة، ويؤدي الدعوة بتقليدية معروفة ولا يرضى سوى طريقه، أو يكون جهله بخطط الدعوة ومراجعها وأصولها وفقهها، أو يكون جهله ببعض المسالك التي هي محل معترك الفقهاء من ذوي الدقة والخبرات، وعلى كل فهي شر ينبغي للمسلم أن لا يتحدث إلا عن دراية وإدراك، حتى لا يكون معكراً للعمل، أو معوقا لأهله أو شعاراً لسخرية الآخرين.

3) **ضيق الأفق**: الذي منشأه قلة الثقافة، والتصلب الفكري، وهجران المطالعة والخوف من الجديد والتحديث، بحيث يصبح المرء لا يتجاوز ظله في التفكير الجاد، وربما لا يحسن التعامل مع المعطيات الجديدة، ويكون متخوفا ومحتاراً أمام كل حديث وطارئ ونازلة، فيقلل من مشاريع جادة، وأفكار ناجحة، وبرامج حديثة !! ويأبى التجديد! فيمارس وهو لا يشعر التعويق بكل ألوانه، وهو يظن أنه يحسن صنعا، أو يحدث خيرا وأثرا!!

4) **الحسد:** وهو آفة ذميمة، وسلوك سيء ، يعتري أرباب المهن المتساوية، ويشعله إبليس للفتنة والاختلاف وتحطيم الجهود، قال تعالى:

" **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**" [النساء:54]

وكان ينبغي لهم أن لا يحسدوا الناس على خير وهبهم الله تعالى، لأن الرازق هو الله، والمقدر هو الله، يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر.

ولكن يحمل الحسد فئاماً على قطع أدوار إخوانهم، وتشتيت جهودهم، ومحاولة الطعن والتنقص على كل الأحوال، بسبب إشتهارهم، أو إغفال الناس عنهم، أو تميزإخوانهم العاملين في مجال ما، بقدرة أو مهارة، أو اتقان، فيبيتوا وقد نسفوا أعمالهم، وزرعوا الأشواك أمامهم للحد والتقليل والتخذيل، والله المستعان.

إن كلمة تنبئ عن حب وتقدير وتشجيع، تدفع بالعامل إلى مراقي الجد والبذل والمنافسة، وكلمة أخرى تنبئ عن كشف

وإزدراء وتهوين، تأخذه في متاهات الحيرة والتردد والانكفاء، ولا يثبت إلا من ثبته الله، بفضل حكم أو نية، أو نباهة تقلدها.

5) **سوء الفهم**: وهذا إنما يحمله ذو الثقافات الشحيحة، والعلم البسيط، الذين ينظرون في قضايا العمل الإسلامي، دون تمكن واقتدار، أو معرفة واستبحار، وهذه بلية لا تنقضي!

إذ يعتقد كثيرون في محيط هذا السبب، أن امتلاك شيء من العلم الشرعي يخولهم النقد والتحليل والتمحيص والتمييز، وهذا غير صحيح! حيث يكون سببا في مزلة (سوء الفهم) التي تحمل أتباعها على الاستعجال وارتكاب الخطأ، واستنكار ما لا يستنكر، وقفو كل غريب وشاذ.

وإنما يعالج سوء الفهم بمزيد العلم وتوسيع مدارك النظر، وصحبة المبدعين، واقتحام سُتُر التجربة، والمشاورة المراجعة، واعتقاد ديمومة التعلم والتفقه على كل حال، قال تعالى:

" **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**" [طه :114] .

6) **<u>قلة الوعي</u>**: والوعي شيء غير العلم، وغير محبة الخير والاستماتة في نشر الدعوة، والعمل الإسلامي المفيد، وإن كان العلم ومنائره، تدفع إلى رفع مستوى الوعي عند الأمة، لا سيما للمشاركين في الدعوة وأبواب العلم والجهاد والإدارة، فيصبح الوعي يتحرك من خلال علم رصين، ونباهه صحيحة وإدراك متميز، وحكمة نافذة، تجعله لا يخلط الأمور بعضها على بعض، ويراعي الأصول قبل الفروع، والكليات قبل الجزئيات، والأولويات قبل المكملات، وهلم جرا.

ويحسن تخريج النصوص، والجمع بينها، وعدم اطراح بعضها، ولا يصادم مقاصد الشريعة، ويتصرف عبر رؤية شرعية معتدلة، تضمن له حسن السلوك ودقة الاختيار، ورفع الحرج.

وأما من ضعف وعيه، وقلت نباهته فهو من سيصادم إخوانه، ويصادر جهودهم، ويعوق تحركاتهم بزعمه أنه على الجادة، وأصاب المحل، لذا يجب ألا ينزلق المؤمن إلى مثل ذلك، وأن يكون على وعي بالأمور وإحاطة وإطلاع، فلا يندفع، وتثار مشاعره لأدنى سبب، وألا يستعجل إطلاق الأحكام، قبل تفحص المسائل والمشكلات.

7) **<u>التحزب المشين</u>**: ونعني به غير المحمود الذي يتحزب ليؤذي، ليس لينفع، ويتحزب ليسيطر، وليس لينشر، ويتحزب ليحطم ويفرق، وليس ليجمع ويؤلف!! وقد قال تعالى:

" **وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**"
وقال " **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**" [آل عمران:105 ، 103]
وقال : " **وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**" [الأنفال:46].

والمشكلة الكبرى في هذه الأزمنة، أن التحزب الدعوي أو الفكري أو العلمي، قد خرج عن مساره الصحيح، وبات يسجل الانتصارات والإنجازات لنفسه وليس للإسلام، ولذا يتعمد بعض المحسوبين على تيارات إسلامية، أن يقصي الآخرين، ويعوق إبداعاتهم، وربما شانأهم، وحذر منهم، وأبى كل تعاون محمود لخدمة الإسلام، بحجة اختلاف التوجه والمنهج! فلم تعد المؤسسات والأحزاب ذات نتائج إسلامية، وإنما نتائج وثمار شخصية وحزبية، والله المستعان.

صانعو التعويق

المراد بهم أصحابه ومدبِرَّوه، والذين يصوغونه ويروجونه! ويمكن أن ندركهم بفهم الأسباب الباعثة على التعويق، ويمكن تلخيص صانعي التعويق في الفئات التالية:

1) **المنافقون:** وهم من عنتهم الآية الكريمة " **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ**" [الأحزاب:18] ، وهدفهم هزيمة أهل الإيمان، وكسر شوكة المسلمين، وزلزلة وجودهم.
2) **الحساد:** من ساءهم تقدم آخرين، وتميز فئات أو انتشار ذكرهم وخيرهم مع شعورهم بالنقص والإفلاس.
3) **المنهزمون**: وهم قليلو الهمم الراضون بالدون والدنية، لا تهزهم الأحداث ولا تدفعهم التطورات لمزيد العمل والتقدم والإنجاز، ولا يحسنون الاستفادة من الفرص، واستثمار المتاحات للدفع بالعمل الإسلامي.
4) **الفارغون:** وهم متدينون بلا معنى، ومحبون بلا هدف، ولكنهم لا يحفلون بانتصار الآخرين، لأنهم لا يعيشونه ولا يتعشقون، ولا يطمحون إليه، وقد يطلقون من الكلمات ما يعبر عن فراغهم وضياعهم ، واضمحلالهم في المنهج، والمحتوى، والغاية، والله المستعان.
5) **الحزبيون:** من التهمتهم الحزبية المقيتة، فتجرعوا غصص العزلة والنبذ والإقصاء، فأصبحوا لا يروجون إلا لمشروعهم ومن يواليهم، ولا يخالف طريقتهم!!

أصناف التعويق

ما من شك أن كل عمل حميد في هذه الحياة، لا يكون محل إجماع الناس ولذلك، يقع فيه الاختلاف، وأوائل المخالفين، ومن يصلح تصنيفهم، هم المعوقون، ومطلقو كلمات التخذيل والتثبيط، وبالتأمل للساحة الإسلامية ندرك أن التعويق يمثل في خمسة أصناف ومجالات معينة هي:

1) **التعويق الجهادي:** وهذا الذي مارسه المنافقون في عصر النبوة، ومن خلال آياته ودليله، انطلقنا في نقاش هذه القضية، وهو يعني: تثبيط المؤمنين عن العمل المسلح، القاضي بنصرة دينه، والذب عن حماه، وردع العدو الغازي لبلاد المسلمين، ويتورط في هذا التعويق ضعاف النفوس والجبناء الذين يؤثرون السلامة على المجابهة، والعيش على الحرب والفتك، بدعوى يسر الإسلام وسماحته، وعدم احتياج الدعوة إلى مثل ذلك، ويتهمون من يتحمس للعمل الجهادي بحب سفك الدماء والصرامة في غير محلها! وهذا سوء فهم منشؤه سوء فهم الإسلام، وضعف الخلفية الفقهية التي تقرر مبادئ الجهاد وشرائطه، ومواضع حصوله، فمخالفهم لا يتطلب لعدو، ولا يتعشق الفتك وإنما يستحضر دائما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **:(لا تتنمنوا لقاء العدو،واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا).**

لكن إذا حضر متعين الجهاد، نحو دهم العدو بلاد المسلمين، انتقض العهد الموجب للانتقام، فوجب صدهم حينئذ، وردع كل تقدم ليحمي الحوزة، وليكونوا عبرة للمعتبرين.

والمهم أن هذا التعويق صُنع قديما، وصُنع في العصر الحالي! وفي ظروف مختلفة، ولا زلنا نشهد صدى المعوقين وآثارهم التالفة على الدين والأمة والناس أجمعين.

وهذا التعويق له صور عديدة:

1. **التعوين من شأن الجهاد، وأن الإسلام** دين بناء لا هدم وتدمير وإبادة، زعموا! وللجواب يقول: اعتقدتم قبل أن تفهموا، لأن الجهاد أصل أصيل في الإسلام، وليس هدفه التدمير والسفك، وإنما هدفه نشر الإسلام وتعميم الخير، وله آداب وأحكام يدرسها القارئ الفاحص في الفقه الإسلامي، وليس الذي يُرخي أذنه لهجمات الأعداء، ويحاول تفهمها ودفعها عن نفسه ودينه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في مسند أحمد وأبي داود عن أبي الدرداء بسند صحيح **(إذا تبايعتم بالعِينة،**

ورضيتم بالزرع، وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى تراجعوا دينكم).

فهذا النص من نصوص، يكشف ما للجهاد من أثر عظيم على عزة الأمة وصمودها وعدم تسلط الأعداء عليها.

ويزعم هذا الفريق أن ذكر الجهاد وتمجيد المجاهدين ذريعة للأعداء أن يسموا الإسلام بدين العنف والإرهاب كما هو حاليا! فهل نترك أصلا عظيما في ديننا لعيون المجرمين، أو لنحقق مكاسبَ خاوية؟!.

وقد حصل منهم احتلال بلاد مسلمة، وانتهاك أعراض طاهرة، وديست مصاحف كريمة، ونكل بأهل الإسلام في قضايا كثيرة؟! **كما قال القائل**:

وربَّ حصان فاقت المزن عفةً على طهرها زانٍ عدا ومسافحُ.

فهل يُصغي لهذا المعوق الجاهل، الذي لم يتفهم دين الله، وزبب قيل أن يتحصرم، وتكلم فيما لا يحسن؟!!!

2. **إرهاب أهل الإسلام بالقوى العظمى الجبارة**، التي تملك الأسلحة الفتاكة والترسانة الضخمة المتكاملة بدعوى ضعف الأمة، وعدم القدرة! وتناسوا قدر الله المحتوم بانتصار المؤمنين، وتكفله بالنصر عند الصبر واليقين " **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**" [محمد:8] " **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** " [المجادلة:21]

وقوله عندما انتصر الأذلة على الأقوياء الأعزة " **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**" [آل عمران :123]

وقوله في عدم التكافؤ إذا تعلّق المؤمنون بربهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه " **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**" [البقرة:249]

في نصوص أخرى كثيرة، تدل على معية الله لعباده المجاهدين ونصره لهم في مواطن كثيرة، مع تسلح العدو، وتقدم جاهزيته العسكرية، وذلك شامل لكل ظروف الجهاد وتقلباته.

وإن تعجب فاعجب، وتقيأ، ممن بشرك بإيراد قضية المنع الجهادي، حتى عند مداهمة العدو البلاد والدين والأعراض، بحجة المصلحة ودرء الفتنة، وهذه من عجائب الفكرالإنساني في العصر الحديث!!، والعجب أنها لم ترد من ديار الغرب، بل ولدت من بلاد

المسلمين، ومن فقهاء مأجورين مأزومين، ، لا كثرهم الله وخيب مساعيهم!!.

وليتهم قدموا المقدمات العلمية المنطقية المقنعة، ولكن للأسف يشم فيها رائحة الخداع، والتآمر، والخيانة العلمية.

3. **زعمهم أن عائدة الجهاد، على الأمة خطيرة**، لعدم تأهلها واستعدادها، فالأولى الركون إلى الدعوة إلى الله، وتربية النفس، حتى مع دخول الغزاة وتطاولهم المشاهد المشكوف!!

وهذه آبدة شنيعة، يزيد من شناعتها، أنهم عند تقريرهم بلزوم الكف الجهادي، وعدم المواجهة، لا يطالبون الأمة بالاستعداد، وأخذ الحذر وهذا ؟؟ كما قال تعالى:

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ**" [النساء :71].

وقوله تعالى:

" **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**" [الأنفال :60]

وإنما مسالكهم المتتابعة التثريب، وكيل اللوم على المجاهدين، وتحركاتهم، الذين يذبون عن حمى الأمة، ويردون المحتل على أعقابه.

وقد أثبتت المعارك المعاصرة كيف بلاء هؤلاء وصمودهم النادر، وتضحياتهم الجسورة، رغم قلة العدو والعدة، وما يوم حليمة بسر، تحزب العدو، وتمالأ جمعهم، فردوا خاسرين، وانقلبوا صاغرين " **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** " [الحج:40]

4. **إهمال التنمية الجهادية، والعزف على التنمية الفكرية والعلمية** والحياتية، وأنها سباق المرحلة، ومحل التجربة والإبداع والتنافس، متناسية وضعية الأمة واستعداد شباب الإسلام للتضحية وتفاوت هممهم ورغباتهم، وأن الله قد جعل لكل شيء قدرا.

5. **التعويق بإطلاق كلمات الإرجاف والتوهين والتثبيط** من نحو أسلحة دمار شامل، ترسانة هائلة لا تهزم دولة عظمى ، صواريخ عابرة للقارات، جيش لا يهزم أبدا، وأشباهها من الكلمات الجارحة لحسد الأمة، والموهنة لعزائمها وشبابها وأفذاذها، وإنما يرددها من فسد قلبه، أو تضعضع إيمانه، وهانت عزيمته وصبره!!، وهؤلاء لا يرشحون لنصر، ولا يُعدَّون لمجد و اعتزاز، وإنما ينصر الله من عباده الصابرين المتقين كما قال:

" **بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**" [آل عمران:125]

" **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً**" [آل عمران :120] **وقوله : "فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما اتكانوا"**

6. **التقليل من شأن التثقيف الجهادي، لشباب الإسلام** كالحديث عن الجهاد الإسلامي وغزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبطولات الأفذاذ عبر التاريخ، لأن ذلك في غير أوانه، ويجر ويلات وتبعات على المشاريع الأخرى!! ونحن نقول: هذا التثقيف يتم عبر برامج تربوية صحيحة يشرف عليها علماء، وليس مهرجون أو مندفعون والأمة حافلة بالطاقات المختلفة، والمواهب المتعددة.

2) **التعويق العلمي:** ومعناه التقليل من شأن العلم في بناء الأمة، واستعادة حضارتها، وصرف الطاقات الشبابية إلى تحركات أخرى هي أنفع للأمة بزعم هؤلاء المثبطين!!.

وخفي على هؤلاء الجهلة نفاسةالعلم وعراقته، وأنه أزكى عمل إسلامي، وما عبد الله بأفضل من العلم، وأهله خير الناس إيمانا، وأعظمهم ولاية وخشية لله تعالى كما قال تعالى:

" **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**" [فاطر :28]

وهم منتهى الرفعة، وراس الشرف والمجد والعلاء " **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**" [المجادلة :11].

وصور التعويق في النواحي العلمية كثيرة ومتعددة منها:

1. **ترويج عدم فاعلية العلم الشرعي، في إصلاح أوضاع الأمة،** وأن المهم الدعوة والعمل والتوجيه فحسب! والعلم لا يعدو سوى فتوى فقهية، وإدراك لمكامن الحلال والحرام، أو الخوض في دقائق، يعرفها الخواص، ولا يحتاجها العامة، الذين هم الجماهير الغفيرة، والتجمعات الزاخرة.

وهذا تبسيط ساذج للقضية، وينبئ عن خلل فكري غائر في نفوس هؤلاء!! لأن العلم الشرعي مادة الإسلام وروحه، وأس دعوته وبرامجه وتحركاته، ولا قيام للأمة إلا بعلم سديد، يؤديه العلماء الراسخون، والدعاة الربانيون، ثم إن العلم مجالات شتى، ومعارف مختلفة تتجاوز حدود الفتوى وكشف الأحكام الشرعية،

فهو بصيرة قرآنية، ودرس نبوي، وحديث في السيرة، ومحطة تاريخية، ومعلم توحيدي وعناصر أخلاقية وأدبية.. الخ كل ذلك هو مباني العلم الشرعي، المستنبط له في الكتاب والسنة، وتراث سلف الأمة، ولا يمكن تجاهله في إصلاح أوضاع الأمة وحل مشكلاتها!

وما أبى أولئك إلا من جهلهم الواسع بالعلم الشرعي، وعدم إدراكهم حقيقته وحلاوته.

2. **اعتقاد صعوبة المسائل العلمية،** وعدم كفاءة الجيل لفهمها، حيث التعقيدات العقائدية، والنزاعات الفقهية، والأبواب الشائكة، التي لا تصلح لهؤلاء الشباب، وبالتالي يحسن توجيههم إلى أشياء أخر، فتحرم المواهب الشابة من هذا الباب، بسبب هذا التصور السقيم وهذا الاعتقاد الكاسد!!

وللجواب عليه لابد أن يعلم أن العلوم الشرعية فيها مجالات واسعة للاجتهاد الذي نشأت عنه تلك الخلافات والمنازعات، التي هي في حقيقتها معارك فكرية تنمي العقل، وتوسع مدارك التفكير، وتريك عظمة التراث الإسلامي، ثم إننا إذا صرفنا الشباب للعلم لا نجعله يبتدئ بهذه المسائل من الوهلة الأولى، بل نجعل له البرنامج الأولي الذي يدنيه للمتون حفظا وفهما، ولا يشرع في هذه الخلافات إلا بعد التمكن الأولي، وامتلاك القدرة على خوض تلك المجالات، والعلم فنون كما يقال.

وبمطالعة كتاب من كتب أدب الطلب، يدرك الطالب فضائل العلم وبرامجه، وما الذي ينبغي فعله في المرحلة الأولى رغم أن التوجيهات للطلبة، إنما يقوم بها الشيوخ الحذاق، وليس غيرهم من لا عقل ولا نقل ولا فهم للحالة العلمية..

3. **بسبب وضاعة الهمم وانحطاط العزائم، يتم تثبيط التلاميذ...** ومن أنتم حتى تكونوا كما كان عباس أو ابن عمر أو سعيد والحسن وابن تيمية وابن حجر رتبة واتقانا؟!

أولئك قوم شيد لله فخرهم فما فوقه فخر ولو عظم الفخر!!

وسوق القول هنا في غير محله، ليتم لهم مآربهم من التثبيط وصناعة الخور والهزيمة في نفوس هؤلاء.

ولم يقل أحد من الناس أن تلك العظام المباركة يمكن إدراك شأوها، ولكنه يحاول أن يشابههم، ويضع حدا يدفع به الجهل عن نفسه، ويزكي روحه، ويعلم أمته، ويكون مصدر إشعاع لها ساعات الأزمة والمحنة.

قال صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

4. **عدم مباركتهم الرحلة في العلم، ولقاء الشيوخ** والمعارض الثقافية، واعتبار ذلك نوعا من الترف، أو ضربا من ضروب الرياء لأنه ليس مما يهتم به، أو يحرص عليه! والله المستعان.

ويبدو أن هؤلاء مفصولون عن تاريخ أمتهم وأمجادها الحضارية، وذخائرهم التراثية، ليشاهدوا كيف قاتل أجدادهم في طلب العلم، وكيف ألمت بهم الجراح، وخالطتهم المآسي أثناء التحصيل والسفر والجد ؟!!

ومطالعة كتاب يسير الحجم للخطيب البغدادي رحمه الله وهو (**الرحلة في طلب الحديث)** يدرأ ما بهم من بلية، ويوصلهم بتاريخهم وأمتهم، وأن بعضا من هذه القصص ستعالج ما هم فيه، وتجعلهم حرصاء على الاقتداء والمحاكاة

فتشبهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم إنَّ التشبهَ بالكرام فلاحُ

5. **انتقاد من يحمل الكتاب الأنيس في رحلته أو عمله أو ممشاه أو أماكن نزهة الناس بدعوى حب الشهرة ولفت الانتباه**، وأن المكان ليس موضعه! ومن انت وقد قل علمك، وضعفت ثقافتك، ولم تستفد منه ولم ير أثره عليك؟!!

وهم بذلك يقللون مظاهر الجمال في الناس، ويحرضون على التعبئة التخلفية الجاهلة، التي تفصل المجتمع عن روعة الحضارة كالعلم والتعلم، وحصد المعارف.

إنهم لا يعرفون قيمة الوقت! ولا كم يضيع الإنسان من ساعات في انتظار دوره أو رحلته أو مراجعته، و قد هان العلم في حياتهم، وتكاثرت الأوقات عليهم!

ولو أن الذي لم يرق لهم حاله، طالع جريدة من الجرائد المعروفة لما استنكروه، واعتبروه مثقفا جميلا، ومنظرا متحضرا.

أما القراءة في كتاب عظيم الجودة، سامي المعرفة، فهذا من المستنكرات، وداع للسخرية والتندر به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

6. **من سمات الطالب الشغوف بالكتب، شراؤها، والإكثار من ذلك، وتتبعها وعناوينها ومصادرها في كل مكان حيث لا يسلو إلا بها**، ولا يحب إلا مسامرتها، وجمعها والتلذذ بذلك، فحينما يظفر بكتاب تعود إليه روحه وتنشرح بسماته، وتطرب مشاعره.

إنها صورة جميلة في الحياة العلمية الإسلامية، لكنَّ بعض المعوِّقين يسخر من ذلك ويضيق، ويبيت يطلق كلمات الجهل والتحطيم:

- هل قرأها كلها ؟! وهل بانت عليه؟!
- كم له وهو يجمع، وما رأيناه أبدى علما، ولا صنع مجدا!!

وهكذا يحاولون كسره وإبادته بمشنوع القول وفاسده، حتى ليتمنوازوال مكتبته، حيث يملك الذخائر، وهم بلا ذخائر، ولديه الجواهر، وهم بين التوافه والحظائر!

3) **التعويق الدعوي:** والمقصود به محاولة أرباب النقص والتعويق، حصرمشاريع الدعوة وتقليصها في أشياء محدودة، إرضاءَ لآخرين أو لتقليدية خاوية، أو نمطية جوفاء، فيقعوا بقصد أو بغير قصد في مسلك مشين، موروث عن المنافقين، الذين هم من نسج التعويق ونشره في العهد النبوي.

وهذا التعويق في مجالات الدعوة، له جوانب متعددة وكثيرة منها على سبيل المثال:

1. **البقاء على تقليدية الدعوة القديمة، ورفض ما هو جديد** من وسائل الإعلام ومجالات الإنترنت، أو عدم الاهتمام بها، والتركيز على جوانب الخطبة والمحاضرة والدرس عبر المساجد والجوامع! وهذا المسلك أعتقد أن الواقع المعاصر بزخمه، وما للدعوة الآن من تطورات حسنة، عبروسائل الإعلام الحديثة كاف في اسقاط هذا المعوق، وتفاهته، وعدم الاهتمام والاحتفاء به. لأن الزمن قد تجاوز هؤلاء، وتركهم رابضين في مكانهم وتقليديتهم.
2. **تعيير العاملين في حقل الدعوة، بقلة العلم وهوان الثقافة** ليحملوهم على الكف والانقطاع، وتخلو الساحة للجهلة والرعاع، أو الفساق الأشرار ليعمقوا فسادهم، ويضاعفوا سفههم، والله المستعان.

مع أن القضية لا تعدو أن تكون نقد مضيوم محروم، أو تعويق جاهل خامل، لا يعي ولا يدرك ما يقول!!.

والتحقيق هنا: أن كلا يدعو الله بقدر ما يعلم وما يتحمل، ولا يلزمه الاستيعاب والإحاطة.

لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**بلغوا عني ولو آية)** فكل من علم شيئا وأدركه عليه أن يبلغه، وإن لم يحص غيره، لذا تجد في مجالات الدعوة من يحسن الوعظ بالقرآن، وقد لا يدرك الإشكالات التفسيرية، أو الدلالات اللغوية والإشارات الفقهية، لكن يحدث أثرا بليغا في نفوس الناس، وتضرب اشرطته طُنبها في أرجاء مختلفة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فهل معنى هذا أن ننقص صاحب هذا التوجه، ونحط من وعظه وأثره؟!.

كلا! بل يدعمه الجميع، ويشجع جميع التوجهات، ونقول للواعظ أحسنت، وللمفتي بورك فيك، والمفكر أحسنت وأجملت، وللعالم، أفدت وأجدت.. وكلهم منائر في طريق الدعوة، لا يستغني عنهم المجتمع، ولن تتخلى عنهم الأمة.

3. **التقليل من جهود البرامج الدعوية، التي تتوزع في المجتمع** وتنتشر على غيرالهوى المشهور، بدعوى تخلفها وعدم انسجامها وتأثيرها.

وهذا خطأ محض، بل يجب على الدعوة أن تصب قنواتها في كل ميادين الحياة وتخترق كل السبل والحواجز ما أمكن، حتى يعبّد المجتمع لله، وتشع الخيرات أرجاء المعمورة، مادامت الوسائل صحيحة، وبرامجها نافعة، وذات تأثيروفاعلية.

كمن يدعو في الأماكن النائية والمهجورة، أو في السجون والمستشفيات، وبعض القطاعات الخاصة ، علينا دعمهم وشكرهم على سدهم لهذه الثغور، وتقديم النصائح المفيدة لهم.

4. **النقد الدعوي القائم على النبذ والإسقاط نوع من التعويق** والتحطيم، ولا يحمد فاعله، لأنه مبيت للسوء، وهادف لما لا يحسن ولا يليق!

إذا نقدنا فليكن نقدنا نزيهاً علمياً وأدبيا، لا يجرح ولا يتطاول ولا يسقط، بل يتلطف ويهذب ويبني، حتى يحقق أثره، ويؤدي منافعه، لأنه من ضروب النصيحة الشرعية، إذا تقلدت طرائقها، ولم يقف ما نضادها ويصادمها.

5. **كلام المباشرين للدعوة أوثق من البعداء عنها**، الذين يهذرون بما لا يدرون، فإذا تجاوز كلامهم حده، علم أنهم يعانون من أزمة، وليس كلامهم أو نقدهم من مصلحة الدعوة، فليصمتوا حينئذ خيرا لهم!! حتى لا يساء فهمهم، ويلصق بهم ما لا يروق ويطيب!

4) **التعويق العبادي:** وهو عدم الحفاوة بالإخوة العباد، الباذلين نفوسهم لربهم وذكرا وزهدا وإنابة، وإهمال جانبهم في حياة الامة.

وللجهل بأهمية العبادة والإنهاك فيها، يطلق بعض الإخوة كلمات ومواقف تقلل من شأن النساك، الذين لمعت وجوههم بذكر الله، وحيت كلماتهم بالإخبات والخشوع البارز عليهم، ويفوتهم أن التعمق العبادي نوع من الزاد المطلوب للمسلم فضلا عن العالم البليغ، والداعية المجاهد، وقد قال تعالى للمجاهدين قبل بدر " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً**

فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [الأنفال:45]
وقال في سمت أهل العلم " **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (108) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**" [الإسراء 107-109].

فالعبادة المتينة، وقود الطريق، وسلوة السالك إلى الله، وإليها يأنس ويلوذ أيام المحن والشدائد، والتعويق الجاري فيها، دافعه الجهل وسوء الفهم، وعدم فقه الإسلام، كالتعويقات الآنفة الذكر وله صور مختلفة منها:

1. أن العباد غير مبالين بأحداث الأمة، ومشكلاتها بسبب إنهاكهم وانعزالهم، وهذا ليس بصحيح.

لأن الإنهماك العبادي ،حتى ولو عزل المرء عن أمته، إلا أنه يعيش معهم بشعوره وإحساسه وتفاعله، ويعيش معهم بدعائه وبكائه، وجوآره الدائم إلى الله تعالى.

والعباد المخلصون تحتاج الأمة دعاءهم وتقربهم إلى الله بنصر الأمة وتمكينها وزلزلة أعدائها.

وقد قال الإمام أحمد لما طعن في مجلسه في معروف الكرخي وأنه قصير العلم قال **(وهل يُرجى من العلم إلا ما عند معروف)؟!**

وكان عنده رأس العلم الذي هو **الخشية،** وهي لا تتولد إلا بالعبادة الدائمة، والتقوى والخوف والقنوت المخبت.

وفي كلمة أحمد هذه إشارة إلى أن العبادة المخلصة لله تعالى هي مقصود العلم، فإذا لم لو يورث العلم الخشية فلا خير فيه ولا منفعة.

وأيضا ينبغي أن يكون العلم والتحصيل طريقا لتحصيل الخشية والانكسار لله تعالى.

2. إشاعة أن النساك المتدينين أقوام كالبُلْه لا عقولَ لهم، ولا فهم، ولا تمييز، فهم صلاحهم لأنفسهم وخيراتهم لقلوبهم يزكون بها، ويتباركون، ومن عداهم لا تصلهم ذلك!!

وهذا تصور مردود، لأن العبادة من شأنها أن تصلح القلوب، وتوقظ البصائر، وتجعل المسلم أكثر فهما وتركيزا، حيث ينظر بنور الله، ويستطيع بعد تصوره للعمل الإسلامي أن يسهم فيه برأيه واجتهاده وإذا توفرت له فرص المعلومات الشرعية، ستزيد من نضجه وفهمه وتعليقاته وإفاداته، ويصبح عنصرا فاعلا بمشاركاته في ساحات العمل والتأثير.

3. التقليل من شأن إحياء السنة العبادية، التي يتعاهدها أقوام، شُغفوا بمحبة نبيهم عليه الصلاة والسلام ومتابعة سنته، سواء

كانت في الصلاة أو الزكاة أو الحج والآداب، حيث تجد أناسا يقللون منها، وأنها لا تعرف، وتحمل سمات الغرائب حيث لم يذكرها المؤلفون!!

ويقال لهؤلاء أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، ومتى صحت السنة وجَبَ العمل والمتابعة، والظافر بها منصور مبارك، وهاجرها بعد العلم مفرط خاسر.

والعجيب أن هذا النقد لا ينطلق من منقوصي الثقافة والجهلة، بل يكون أحياناً من أرباب الفقه والدعوة وذوي التأثير العام.

وهذا شيء يؤسف منه، لأن حملة العلم أليق بهم احترام هذه السنة، وتقديرها إذا صحت، لاسيما والمبرزون لها، إنما هم حملة الأحاديث المختصون في السنة النبوية حيث يحصل لهم مزيد البحث والفحص والتمييز .

4. قصر المعاني الجادة وكلمات المدح النموذجية على مناحي العلم والدعوة والفكر وعدم إبراز المشهد العبادي مساويا لها! وهذا خلل عظيم وقد قال تعالى في أيوب عليه السلام: " **نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**" [ص:30]

والصواب أن النهج العبادي لا يقل حسنا وجودة عن العلم والدعوة والفكر وأشباهها، فلا تختزل الهمم العالية، والنماذج السامية لغيرها فحسب، بل لابد من إدخال جانب العبادة، والنسك إليها، وإطراء همم أهلها وجدهم ونشاطهم.

فيقال: فلان يصوم الاثنين والخميس...الخ

وآخر: يحج كل سنة، ويعتمر كل شهر، وآخر يختم كل أسبوع، وآخر مقرئ متميز، وهلم جرا حتى يدرك المشببة ما للعبادة من أثر على الإنسان وأنهامنجاته، وصفاء قلبه وروحه، وهي أولى ركائز التزكية الشرعية " **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**" [الشمس:9-10] .

وقد كانت كتب التراجم، التي هي إبراز للهمم والعزائم، تمدح المترجم له بالعلم والدعوة والخير، وتحكي تنسكاتهم في ذلك كقولهم: رأس في الزهد والعبادة، وآخر الإمام القوام الصوم، وذاك يختم كل يوم، وذاك دائم الذكر والفكر، ونظائرهم كثير لمن هو مطالع لها، ومتأمل فيها فلينتبه.

5) **التعويق الفكري:** ويقصد به إهمال دراسة الفكر المعاصر، المجانب للفكر الإسلامي، وعدم الخوض في قضاياه التي يُذب من خلالها عن معالم الإسلام ومقاصده، وإثبات جدارته لقيادة البشرية، وكشف مكر الأعداء ومخططاتهم ، عبر الحوار والردود والمناظرات.

فحينما تكون كلمة (مفكر) مدحةً في بعض المجتمعات، تكون مذمّةً عند فئامٍ من الإسلاميين، وللأسف الشديد وهذا ما سنحاولُ عرضه الآن من خلال صور التعويق الفكري الشهيرة وهي ما يلي:

1. استنقاص كلمة (الفكر) وأنها لا تعدو إلا إنشاءً فارغاً، وجعجعةً بلا طحن، ووعاء بلا محتوى، لاسيما وأن من يتحملها محدود العلم الشرعي قليل الإتقان، لا يملك سوى مصطلحات معينة، وكلمات يتزين بها بزعمهم!.

وهذا الشيء مستنكر! لمن يدرك عالمه، ويحيط بنوازل العصر ومستجداته وما يكون فيها من هجمات فكرية مدمرة ، تستهدف الإسلام وقضاياه، ويعجز العالم الشرعي الذي بلا فكر أن يتصدى لها أو يحسن الدخول فيها!!!

والذي يُقرَّر هنا: أن الفكر كلمة مدح وثناء، ولابد للأمة من مفكرين جادين ومؤثرين يحصلون العلم والثقافة بكل أطرافها وأشكالها، ليذبوا عن دين الله ويحموا جوهر الإسلام، ويُحسنوا إقناع المخالفين، وتثبيت المتشككين من أهل الإسلام.

وهذه وظيفة المفكر، الذي ما ينبغي له أن يتقاعس عن تثقيف نفسه شرعيا وعقائديا وعصريا ليكون على مستوى الموقف والحدث.

وقد قال تعالى " **وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**" [الأنعام:55]

2. اعتقاد هوان الكتب الفكرية، وقلة وجودها، وهنا آبدتان يرتكبها المعوقون الأولى: مهانة كتب الفكر عندهم و الثانية قلتها في الساحة الثقافية.

وهذا حكم صادر عمن لا يعيش العصر ولا الثقافة، ولا يتردد على المكتبات ومواقع النت!

لأن الفكر في هذا العصر بات مملكةً فسيحة من المعلومات والتحليلات والأرقام التي تحتاج إلى المتخصصين، والمدققين، والراصدين، وباتت علومه فروعا ومجالات تحتاج إلى تمكن واقتدار، وليس كل من هب ودب استطاع المداولة فيها.

3. ويزعم هؤلاء أن مهما تم قرر فضل الفكر في خدمة الدعوة، لا تزال الحاجة إليه غير ماسة، وبإمكان الأمة العيش بدونه!

وهذا إيراد ساذج، ممن لا يعيشون معركة الإسلام مع الغرب وغيرهم، وكيف أبدت الأحداث الأخيرة الملتهبة أهمية الفكر، والمفكرين للأمة، وما الفضائيات المتناولة لهذه الأحداث إلا نوعا

من الحراك الفكري والثقافي الذي يسهم في إبراز أمة الإسلام، وكشف أعدائها وخصومها.

ألم يُتهم الإسلام بأنه دين الإرهاب والعنف؟! وتحدث عن إرهابية نبي الإسلام، وصُنعت الرسوم المزيفة عن شخصية ودعوته في الدنمارك الصليبية، وتكلم بابا الفاتيكان مؤخرا من أن الإسلام دين العنف، ولم ينتشر إلا بالسيف.

حيث لحظ انتشاره، وهزيمة مشروع أسياده في العراق وأفغانستان رغم الإمكانات الهائلة عسكريا وماديا.. ولكن " **وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ"** [فاطر:43]

4. الاستهانة بإسهامات المفكرين في الحياة العملية الإسلامية، وأنهم لم يقدموا شيئا!

وإذا سمى لهم مفكرون معاصرون قلّلوا من جهودهم وعلمهم، وأنهم كانوا يتبعبون مشاريع حركية وحزبية..!! ويكفي في فساد هذا الكلام رجوعهم لتراثهم الإسلامي ليلحظوا الجهود الفكرية التي بذلها شيخ الإسلام ابن تيمية في إيضاح نصاعة الإسلام وكشفه لشبهات الأعداء كما ترى في مجلدات من الفتاوى وكتابه الجواب الصحيح، والعقل والنقل، ونصيحة أهل الإيمان، وردود طويلة لا تنقضي ولا تنتهي لمن يعرف تراث الشيخ وتركته العلمية.

وأيضا جهود أئمة آخرين نحو ابن حزم والغزالي وابن رشد وغيرهم رحم الله الجميع.

5. إعراض علماء أهل السنة المتميزين في التوحيد والفتوى عن القراءات الفكرية، وتحافزهم لموائد الفكر والتحليل والبحث بدعوى أنها مضلة وتشتيت للذهن الإسلامي، وربما أصدروا فتاوى تؤيد ذلك، وأنها لا تنفع للطلاب الشرعيين، لئلا تشوشه أو تزاحم حياته!

وهذا من ثمرات ما ترى وتسمع، إلا أنه ينبيء عن عدم فهم للثقافة الفكرية وحاجة الإسلامة والأمة إليها عبر مختصين وليس جماعين، وهو يدل على جهالة فادحة بالوضع المعاصر والمشكلات الدولية، والصراعات الجارية حاليا!

ومع ذلك فإننا لا ندعو التلاميذ مباشرة إلى مثل هذه الثقافة، إلا بعد التضلع شرعيا، والقدرة لدى بعضهم على النظر والفهم والتحليل، على أنه ينسى هؤلاء أن من غرائب ولوج ما يسمى بالفكر الإسلامي استيقان المسلم بدينه، و وثباته واستقراره، حيث زالت عنه الشبه، وكما آمن نقلا، سيؤمن عقليا بعد مطالعته لتخبطات القوم ووقوفه على ترهاتهم ومتناقضاتهم، وهذا شيء يعرفه من ذاق طمعه، واستشعر قضاياه.

أما ما يخشى عليه من الأثر السلبي للفكر، فهو إنما يكون عند عديمي الثقافة الشرعية، والذين ليس لديهم استقرار فكري ولا إيماني، والله المستعان.

6. **ومن التعويق** : تجريد المفكرين من المناصب القيادية في الأمة، وعدم إعمالهم في التوجيه والتنظير، أو الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم بدعوى تخليطهم، وعدم استمكانهم علميا، وقلة بضاعتهم!!

وهذه محاربة لمن هم الذابون وقت المحن والأزمات، ومن أثبتت الأحداث الاحتياج الماس إليهم، وأنهم أقدر على الفهم والرد، من ذاك الذي هو معزول بين كتب التراث فحسب!!

فلما خاض وتكلم أتى بالعجائب، وأزرى بالمشيخة العلمية، وتكلم، تكلمَ من لا يفهم ولا يدري، بسبب الاستهانة الفكرية، والتسلط العلمي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

7. إشهار أن مادة الفكر ومصادره، هي الصحف والمجلات فحسب، وتجاهل المكتبات العالمية الزاخرة بكتب الفكر و الفلسفات العالمية، ومناظرات الناس، وصراع الثقافات والأديان، وما أحدثه العصر الراهن الملتهب بالحروب والردود و التناقضات وما يكشف الآن من خلال الفضائيات والمواقع الإلكترونية الكاسحة، ويؤره المعلومات الفظيعة، التي تفترض أن تدعونا إلى إحياء العملية الفكرية، وتأسيس المراكز الخاصة بها، واحتساب أفذاذ وطاقات مأمون فيها.

6) **التعويق الحضاري:** ومعناه تسويغ تردّي الأمة عن مجاراة العالم، والتنكر بقيمها ومبادئها وإمكاناتها الهائلة، والتكيف مع الهزيمة والتخلف والتأخر.

وقبل الشروع في بيان صور التعويق الحضاري أبين ما المراد بالحضارة؟! والمراد بها.

أما بالنسبة لصور التعويق فيها فيما يلي:

1. اعتقاد كثير من المهزومين فكريا، عدم صلاحية المسلمين للقيادة العالمية بسبب الهوان المستشري، والوضعية المؤلمة، والمهينة للأمة وشعوبها، وقد تكونت لديهم هذه النظرة التشاؤمية التي توحي بضعف الإيمان، وهشاشة الفكر، ورداءة المعلومات حتى بلغ بهم أن يشككوا بصلاحية الإسلام للإنسانية وأنه الغيب المحتوم، والقدر النافذ بإذن الباري وجل وعلا كما قال: " **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**" [الصافات:171-173]

وقال تعالى: " **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**" [يوسف:110].

وقال تعالى: " **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**" [القصص:5، 6]

فلن يطول ليل الظالمين المتلون بالأنكاد والأرزاء، بل سيعقبه فجر النور والصباح برعاية الإسلام ومنائره وحضارته.

2. من المؤسف أن نظرية الاستلاب الحضاري الذي لا يزال الغرب الكافر يمارسه تجاه المسلمين وتراثهم انطلى على فئام من أهل العروبة والإسلام واغتروا بدعاوي الغرب، القائلة باستقلالهم الثقافي والفكري عن حضارة المسلمين المندرسة، أيام زهورها الآنف إبان ظلمات أوروبا وإنحطاطاتها الشنيعة.

وانعكس هذا المعنى على رضائهم بالتخلف والدونيه والتبعية والاستهلاكية التي زادتنا ذلا واستضعافا ويتسلطا من قبل الأعداء والمجرمين، ويسهم مفكرونا المقلدون على صناعة الأجواء الملائمة لذلك الله المستعان.

3. يصدق على أمتنا العربية والإسلامية، أنها الأمة المؤودة حيث لم يصيروا يئدون البنات خشية العار والفقر بل استطال وأدهم وتحول ليسجل الوأد الإبداعي للطاقات الشبابية، والمواهب العقلية الباهرة، وصح فيهم قول من قال:

القاتلونَ نبوغَ الشعب ترضيةً للمعتدين و ما أجدتهم القربُ

فلهزيمتهم النفسية والحضارية لبّوا مطـالب الآخـرين، وذابو في قمع الطاقات والإبداعات من الإنجـاز والإنتـاج، ومن سـلم منهم هــاجر بعلمه وعقله للمجتمعــات الغربيــة، يحي معــالم حضارتها، ويسهم في بناء مـدينتها وازدهارهـا، وهم من عرفـوا مؤخرا (**بالعقول المهاجرة**) كالطيور المهاجرة، التي تغادر أماكنها بحثا عن الطعام والراحة والاستقرار.

4. خفوت صوت الدعوات المنادية باستثمار ثروات الأمة صناعيا واقتصاديا وفكريا وإداريا، بحيث تدفع بالأمة في مجال الحضارة القيادية، والسبب الرضا بالواقع واستحسان الإدارة الماثلة، رغم إسهاماتها المتوالية في تأكيد التبعية، وبهزيمة الروح النفسية المتجددة عند كثيرين من أهل

الإسلام وقد قال تعالى: " **وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"**
[آل عمران:139]

آثار التعويق على الدعوة الإسلامية

لارتياب أن التعويق مرض من أمراض الحياة الإنسانية، ولم يعد مخصوصا بالكافرين أو المجتمعات الضالة، بل سرى وتمدد حتى عمم المجتمعات الإسلامية ولامس صفوتها وخيارها، ونظراً لخطورته وضرائه، فقد لمس الناظرون له آثارا على الدعوة الإسلامية، من أهمها:

1) إحداث الشرخ الدعوي في العمل الإسلامي، الذي هو مؤذن بالفرقة وإشاعة البغضاء والتهارش، وقد قال تعالى**: "وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا"** [الانفال: 46]
2) إجهاض المشاريع الدعوية، وتحطيم روادها، ومحاولة كسر نفوسهم وطموحاتهم.
3) صناعة العراقيل في طريقها والتي من شأنها تقزيم النتائج والثمرات، وأحيانا الإفشال.
4) إفراح المنافقين وأشياعهم بهذه المسالك التي تشق الصف، وتفسد الجماعة، وتصنع المنازعات.
5) تأخر النصر والتمكين لأن التعويق فرع الفرقة والتشتيت، وهي من أسباب تأخر النصر وحصول البلاء وزيادة الجراحات.
6) صناعة الشحناء بين القادرة والرموز التي هي من الأعمال التي تفرح الأعداء، ويهتم بها الشيطان، وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**).
7) عزل الهمم الحية، أو قمعها، واستفراغ محتوياتها في معارك هامشية، ومقاصد فوضوية عن الأهداف السامية، والإنجازات الكبيرة.
8) ليس الحق بالباطل، والتزييف بالحقائق، لاسيما إذا مورس التعويق من قبل من ينسب إلى شيء من العلم أو كان له أثر في الدعوة وغيرها.
9) إحداث الخصومات والشقاقات الحزبية التي من ذاتها تصعيد النزاع والافتراق، وإتهام الفئات، وتحويل العمل الإسلامي إلى مآرب شخصية، ودوافع ذاتية.
10) فتح المجال أمام المعوقين الحقيقيين، ليندسوا في الصف باسم الإصلاح والتصحيح وكشف الأخطاء، وتحسين مستوى العمل، وهم ما أرادوا إلا سوءا، وما قضوا إلا باطلا وتخريبا، وليكشفن للأمة مهما طال منهم، وتفاقم مكرهم.

قال تعالى: **" وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القول"**[محمد:30]

11) توسيع دائرة الأخطاء في العمل الإسلامي، التي يجب علينا أن تقلص، ونحرص على دفعها قدر الإمكان.

12) قيامه على الاستنقاص الدائم الذي يتوخى النقد الهدام، الذي لا يقع إلا على الجراح، كالصائد في الماء العكر، لا يطلب خيرا ولا ينمي خيرا.

أسأل الله أن يقينا شر نفوسنا ويلهمنا رشدنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الفهـــرس